كان لا بد من اللجوء الى الثورة « كرد فعل للتحـــدي الصهيوني السافر وللخداع البريطاني المستمر ، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم فما من معركة نشبت بيـن العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب » (ص ١٣٧) لقد كانت بريطانيا رغم اللجان العديدة « تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفتها بريطانية خالية من السكان وهي تفتح ابوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها » (ص١٥٨) ولكن الشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركة غير متكافئة « وجيرانـه بل اخوته العرب في شغل عنه لكل منهم مشكلة يعانيها ، والرأي العام العالمي لا يعنـي بالعرب الفلسطينيين وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود » (ص١٥٨) ٠ المؤتمر الاسلامي نفسه لم يستطع ان يخلق الاثر العملي، «فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء هم المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين » (ص ١٦٠) وشعوب العرب تقابل الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ٠٠٠ وعلـى الرغـم من تلـك النداءات المؤثرة التي كانت تذيعها اللجنة فان آذان حكامهم واغنياتهم كانت مقفلة ٠

ويشرح المؤلف بعد ذلك لجوء شعب فلسطين الى مواجهة بريطانية بعـد ان باءت بالفشل المحاولات السلمية،وتميزت الفترة الاولى من هذه المواجهة بالمظاهرات واعلان المقاطعة ، ومع اعترافه بان هذا لم يكن هو كل العمـل المجدي الممكن القيام به ضد سياسة الانجليز لكن القوانين التي اصدرها الحكام ارغمت الشعب على ان تطـول فترة استعداده للثورة قضاها باحثا عن السلاح ، مهما كان شأنه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته الخ » (ص ١٧٢) ٠

وتزداد لهجة المؤلف الخطابية حدة وهو يشيد بعظم اضـراب ١٩٣٦ ويرجـع الدعوة اليه الى الحزب العربي) ويعزو للجنة العربية العليا التنظيم والاعداد لاحداث ١٩٣٦ ٠ وتجنب ذكر الانشقاقات والخلافات بين الاحـزاب واكتفى بقوله « تفاوت التفكير والاسلوب » ، ووصف الموالين للسياسية البريطانية « بالمعتدليـن » ٠ ويرسم في افاضة صورا من الفدائية والبطولة استمدها من صفحات الجرائد اليومية (ص ١٨٤ وما بعدها) حتى ارغـم تحرك الشعب الفلسطيني ، برغـم قلة عدده ٠٠ الامبراطورية العجوز ان تستعين بقوات جديدة ، غير مكتفية بما في فلسطين من فرق اعدتها لتحارب العرب ولتهود فلسطين ص ١٨٥ ٠ ويكيـل الاتهامات لبيـان الملوك والامراء العرب بوقف اعمال الثورة « ٠٠ التاريخ ليردد بألم ومرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من انهم (يعتمدون) على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتهـا المعلنة لتحقيق العدل ٠ » ص ٢٠٩ ، ويتطرق المؤلف مستطردا الى موقف فيصل من الصهيونية واتفاقية فيصل وايزمان٠٠ « التي تمثل جانبا يعطي كل عربي حرية البحث الطليق في ان قضية فلسطين التي اكتوى بها اهلها اولا وقاتلوا عنها ثلاثين عاما كان بعض العـرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها ٠٠ » ص ٢٢٨ ٠

ويثبت المؤلف بالوقائع الصحفية ان بيان الرؤساء لم يخمد لهيب الثورة مما ارغم بريطانيا اخيرا على الدعوة الى مؤتمر لندن ٠ ولـم تأت هذه الدعوة الا « بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم» لكن بريطانيا رفضت بادىء الامر ان يمثل الفلسطينيين احد من الزعماء ذوي العلاقة بالثورة من المبعدين الذين « هم الثوار وهم القادة » ص ٢٥٢ حتى فرض شعب فلسطين وثورته ممثليه في ذلك الاجتمـاع ٠ « وتقابل وجها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثـل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليمكن للصهيونية وسط بلاد العرب » ، واستمرت الثـورة داخل فلسطين حتى اثناء انعقاد المؤتمر (اهمل المؤلف تفاصيل المباحثـات التي دارت) ، وكان لا بد من توقف الثورة اما لماذا « القى العرب سلاحهم ، بل القوا عصيهـم ، فلم يعد للسلاح